المؤمن وسنة الإبتلاء

ع مطوية رقم (٤) | مسلسل رقم (١٣٨) ٢٠٢٠

مُبادرات طابة
TABAH INITIATIVES
www.tabahinitiatives.org

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أهل الحمد والثناء، المؤيد لعباده بقوة الصبر على السراء والضراء، والشكر على البلاء والنعماء.

سنن الله تعالى في خلقه

مما لا بد من معرفته أن الله تبارك وتعالى قد وضع الميزان الدقيق للحياة، وجعل لها أسساً وقوانين قد سنها على خلقه، ولا تستقيم حياة الخلق إلا بمعرفتها ومعرفة كيفية السير ضمنها.

والمقصد من خلق الله تعالى للإنسان في هذه الحياة الدنيا هو عبادته وحده، والعمل فيها وعمارتها على الوجه الذي يحبه تعالى ويرضاه، فقد قال الله تعالى:

ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا [هود: 61]

ومن هنا ننطلق ونطرح عدة أسئلة نتعرف بها على سنة الابتلاء التي سنها الله على خلقه، وكيفية تعامل المؤمن معها.

هل عبادة الله وحده، وعمارة الأرض طريقهما سهلة ميسرة أم فيهما عسر ومشقة وتعب؟

إنه من القوانين التي سنها الله تعالى في هذه الحياة الدنيا على خلقه أثناء عبادتهم وعملهم في عمارة الأرض سنة الابتلاء، ووجود الشدائد والصعاب والمصائب؛ قال الله تعالى:

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ [الملك: 1، 2]

فنفهم من ذلك: أن وجود الفتن، والابتلاءات، والمصائب التي تسبب الألم والمشقة والمعاناة ، ووجود أحوال العسر واليسر والخير والشر، كل ذلك ليس من الصدف، وإنما وُجدت في حياة الإنسان لحكمة ولهدف، قال الله تعالى:

الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣ [العنكبوت: 1 - 3]

ما هي الفتن والابتلاءات؟ وما أنواعها؟

الفتن: جِمَاعُ معنى الفتنة في كلام العرب الابتلاءُ والامتحان، والابتلاء في الأصل الاختبار والامتحان.

والابتلاء هو: استخراج ما عند المُبتَلى، وتعرُّف حاله في الطاعة والمعصية بتحميله المشقة.

الإبتلاء يكون على نوعين

إبتلاء بالشر | و | إبتلاء بالخير

قال ابن الأثير: المعروف أن الابتلاء يكون في الخير والشر معاً من غير فرق بين فعليهما، ومنه قوله تعالى:

وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً [الأنبياء: 35]

هل ضيق الرزق وصعوبة العيش في الحياة دليل وعلامة على غضب الله تعالى، وسعتها والراحة فيها دليل على المحبة والرضا؟

الإبتلاء بحد ذاته ليس بشيء يُقلق الإنسان، وإن الخير امتحان للناس كالشر تماماً، لأن الحياة الدنيا كلها ابتلاءات للبشر وامتحانات، أما عن مقياس أهل الدنيا للخير بأنه متمثل في المال والنفوذ، ومن لا يمتلك هذه المقومات فهو في جانب الشر والابتلاء، ومن يمتلكها فهو في جانب الخير والنعماء، فهذه نظرة خاطئة من أهل الدنيا، ومن هذا المفهوم الخاطئ ما يعتقده الناس من أنَّ من أعطاه الله مالاً ووسَّع عليه في رزقه فقد نال رضا ومكرمة من الله تعالى، ومن لم يعطه المال ولم يعطه سعة الرزق والنفوذ فقد باء بغضب من الله وإهانة، وفي مثل هؤلاء قال الله تعالى:

فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ [الفجر: 15، 16]

في هذه الآيات يصحح الله تعالى للإنسان مفهوم الخير والشر؛ فيقول تعالى: (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ) معنى ذلك: أن الخير، وسعة الرزق، وكل جاه الدنيا ابتلاء من الله تعالى لعباده، لكن نتيجته هي التي تجعله مذموما أو محموداً.

فالله جل جلاله يمتحن عباده في الدنيا بالخير والشر، أي: بما يعتقدون أنه خير لهم وبما يعتقدون أنه شر لهم، مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى:

وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً [الأنبياء: 35]

فالإنسان إذا أكرمه الله وأعطاه النعمة فإنه يقول: ((ربي أكرمن)) وإذا قدر عليه رزقه، أي: أصبح رزقه قليلاً يقول: ((ربي أهانن)) فالإنسان بمقاييسه يعتبر أن سعة الرزق وكثرة النعم خير وعطاء ورضا منه سبحانه، وضيق الرزق يعتبره غضب من الله وعدم رضا منه سبحانه وتعالى.

هنا يصحح الله تعالى هذا المفهوم الخاطئ عند الناس فيقول ((كلا)) أي: إنكم تفهمون خطأ، فلا كثرة الرزق والخير معناها الرضا، ولا قلة الرزق والخير معناها الغضب، بل كلاهما إمتحان للإنسان ليكون شاهداً على نفسه يوم القيامة، هل يتقبل قضاء الله بالرضا والشكر؟ أم يتقبله بالكفر والجحود؟

كيف يتعامل المؤمن مع الفتن والابتلاءات؟

عرفنا أن الفتن والابتلاءات تكون في الشدة والرخاء، ولا بد ليتحقق الإنسان بعبوديته لله تعالى أن يحسن تعاملاته مع هاتين الحالتين، وذلك؛ بأن يشكر الله تعالى في وقت الرخاء، وأن يصبر في وقت الشدة وعند نزول البلاء، فعندما يتعامل المؤمن مع حال الرخاء بالشكر، ومع حال الضراء بالصبر يتحقق بعبوديته لله تعالى، ويتدرج في مراتب الإيمان؛ فيظفر بالخير الكثير وتعود عوائد ذلك عليه في دينه ودنياه وآخرته، وإلى ذلك أرشدنا الشرع الشريف بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية، ففي شعب الإيمان عن المغيرة عن عامر أنه قال : ((**الشكْرُ نِصْفُ الْإِيمانِ، والصبْرُ نِصْفُ الْإِيمانِ، والْيقِينُ الْإِيمانُ كُلهُ**))

ما العلاقة التي تربط بين الابتلاء والتزكية؟

إن الابتلاء ركن أساسي من أركان تزكية النفوس وتطهيرها، ويظهر ذلك واضحاً جلياً في الاطلاع على فوائد الابتلاء وتأثيره في نفس الإنسان وسلوكه.

والصبر والشكر كل واحد منهما نصف للإيمان، وبهما يصل الإنسان إلى أصل وأساس التزكية وأعلى درجاته «اليقين» وهو كمال الإيمان، وإن من أساس الإيمان وأصله الصبر والشكر.

والتزكية للنفس لا يتحصّل عليها المؤمن، إلا مع وجود الألم ، والمحن،والتعب فيما يشق عليه من المجاهدة والمكابدة لها؛ فقد قال الله تعالى:

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ [محمد: 31]

وفي بيـــان أنـــواع الصبـــر والشكـــر وأقسامهمـــا وتفصيلهمـــا وعوائد ذلك على الإنســـان في نفسه وتعاملاته أفرد الإمام الغزالي في كتابه الإحياء في ربع المنجيات كتاب الصبر والشكر، وهو باب من أبواب العلم والمعرفة المهمة لمن أراد الاستفادة والزيادة.

هل الصبر على الابتلاء واجب شرعي له ثواب؟

الصبر على البلاء من المأمورات الباطنة لقول الله تعالى:

وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ [لقمان: 17]

والصبر على البلاء درجة تلي الرضا بالقضاء، كما يقول الحافظ ابن رجب في كتابه جامع العلوم والحكم قال: فالرضا فضل مندوب إليه مستحب، والصبر واجب على المؤمن حتم، وفي الصبر خير كثير، فإن الله أمر به، ووعد عليه جزيل الأجر، قال الله تعالى:

إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ [الزمر: 10]

وقال الله تعالى:

وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ [البقرة: 155 - 517]

بين الصبر والرضا فرق، فما هو؟

الصبر: كف النفس وحبسها عن التسخط، مع وجود الألم وتمني زوال ذلك، وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع.

والرضا: انشراح الصدر، وسعته بالقضاء، وترك تمني زوال ذلك المؤلم، وإن وجد الإحساس بالألم لكن الرضا يخففه، لما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة، وإذا قوي الرضا فقد يزيل الإحساس بالألم بالكلية.

أثر العبادة في توليد الصبر والرضا عند المؤمن

قال الله تعالى:

إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ [المعارج: 19 - 23]

قال الامام العز رحمه الله في كتابه القواعد الصغرى:

«المصائب لا أجر عليها؛ لأنها غير مكتسبة، بل الأجر على الصبر عليها أو الرضا بها، فإن كانت المصائب مكتسبة كمصائب الجهاد من تصديه للقتال أو الجرح فهو مأجور على مصيبته؛ لأنه أمر بالتسبب إليها، وكذلك ما يصيبه إذا أمر بمعروف أو نهى عن منكر.

فوائد الابتلاء

١ معرفة عز الربوبية وقهرها

٢ الحلم عمن صدرت عنه المصيبة

٣ ما أعده الله تعالى على هذه الفوائد -من ثواب في الدنيا والآخرة.

٤ الإنابة إلى الله تعالى والإقبال عليه: قال الله تعالى: {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ} [الزمر: 8]

٥ معرفة قدر نعمة العافية والشكر عليها، فإن النعم لا يعرف مقدارها إلا بعد فقدها.

٦ معرفة ذلة العبودية وكسرها، اي: اعترفوا بأنهم ملكه وعبيده وأنهم راجعون إلى حكمه وتدبيره، وقضائه وتقديره، لا مفر لهم منه، ولا محيد لهم عنه.

٧ كثرة التضرع والدعاء قال الله تعالى: {فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا} [الزمر: 49] وقال تعالى أيضاً:{بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ} [الأنعام: 41]

٨ الشكر عليها لما تضمنته من فوائدها كما يشكر المريض الطبيب القاطع لأطرافه، المانع له من شهواته لما يتوقع في ذلك من البراء والشفاء

فوائد

الابتلاء

٩ رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلواهم وقد قال سيدنا عيسى ابن مريم «الناس مبتلى ومعافى، فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية» ذكرها الإمام مالك في الموطأ.

١٠ الإخلاص لله تعالى إذ لا مرجع في دفع الشدائد إلا إليه ولا معتمد في كشفها إلا عليه.
قال الله تعالى: { وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ} [الأنعام: 17]

١١ ما في طيها من الفوائد الخفية، قال الله تعالى:{فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء: 19]
قال الله تعالى: {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} [البقرة: 261]

١٢ تمحيصها للذنوب والخطايا
قال الله تعالى:{وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ } [الشورى: 30]
وقال ﷺ: «مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» رواه البخاري ومسلم

١٣ إن المصائب والشدائد تمنع من الشر والبطر والفخر والخيلاء، والتكبر والتجبر، فإن نمرود لو كان فقيراً سقيماً فاقد السمع والبصر لما حاجَّ إبراهيم في ربه، لكن حمله بطر الملك في ذلك فحال الشدة والبلوى مقبلة بالعبد إلى الله عز وجل، وحال العافية والنعماء صارفة للعبد عن الله تعالى.

١٤ الصبر عليها وهو موجب محبة الله تعالى وكثرة ثوابه قال الله تعالى:
{وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ } [آل عمران: 146]
وقال الله تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: 10]
وقال ﷺ :((مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً هُوَ خَيْرٌ مِنَ الصَّبْرِ))المسند المستخرج على مسلم.

١٥ الفرح بها لأجل فوائدها:
وعن النبي ﷺ أنه قال: ((وَإِنَّ كَانَ النَّبِيُّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَيُبْتَلَى بِالْفَقْرِ، حَتَّى يَأْخُذَ الْعَبَاءَةَ، فَيَجُونَهَا، وَإِنْ كَانُوا لَيَفْرَحُونَ بِالْبَلَاءِ، كَمَا تَفْرَحُونَ بِالرَّخَاءِ)) مسند الإمام أحمد
العفو عن المسيئ والمخطئ قال الله تعالى: { وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: 134]

الخلاصة

١-أنَّ لله تعالى سننا في كونه لا بد للمؤمن من معرفتها ليسير ضمنها ويتعامل معها بالطريقة التي أرادها الخالق سبحانه وتعالى.

٢-أنَّ الابتلاء يكون بالخير والشر، وأنه ليس من الضروري أن تكون علامات الرخاء رضاً من الله تعالى على صاحبها، وليست علامات الشدة والعسر غضبا من الله تعالى على صاحبها.

٣-أنَّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً.

٤-أنَّ المؤمن في كل أحواله السراء منها أو الضراء فهو في خير كبير إن تعامل معها كما أراد الخالق سبحانه وتعالى، فمع السراء شكر فهو خير له ومع الضراء صبر فهو خير له ففي الحديث عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: ((عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)) صحيح مسلم

وفقنا الله تعالى للعمل بما يحب ويرضى، وبرأنا من المحن والرزايا، ونسأله سبحانه العفو والعافية في الدنيا والآخرة

مصادر المطوية

١-تهذيب اللغة.

٢-شعب الإيمان.

٣-مجمع بحار الأنوار.

٤-جامع العلوم والحكم.

٥-الفروق اللغوية للعسكري.

٦-كتاب الخير والشر للشيخ الشعراوي.

www.tazkiyah.net

facebook.com/TAZKIYAHNET

twitter.com/@TAZKIYAHNET

youtube.com/TAZKIYAHNET

instagram.com/TAZKIYAHNET

مؤسسة طابة
Tabah Foundation
www.tabahfoundation.org

دار الفقيه للنشر والتوزيع
DAR AL FAQIH PUBLICATION & DISTRIBUTION

مبادرة تزكية وعمارة هي إحدى مبادرات مؤسسة طابة للأبحاث والاستشارات